الوجه الآخر للمدنية الحديثة (١)

الإدمان على الكحول

الأخ نبيل شبيب

عرض وتلخيص لمقال رئيسي بعنوان : الوباء الجديد : الكحول بين الشباب . من مجلة (الشبيجل)

{لقد بلغ عدد ضحايا المشروبات الكحولية من الفتية الألمان الغربيين –ممن تتراوح أعمارهم بين (١٠) و(١٢) سنة غالباً– ما لا يقل عن مائة ألف . ولا يكاد الأطباء ولا رجال السياسة يجدون وسيلة ضد وباء الإدمان على الكحول الذي يزداد انتشاراً باستمرار . لقد بدأت زجاجة المشروبات الكحولية تظهر في المدرسة والطريق ، في الأرياف والمدن ، ممّا دعا أحد العلماء إلى القول : لقد بدأ ظهور جيل جديد من المدمنين على الكحول سيوجد مشكلة عويصة أمام الأمّة بأكملها}

بهذه الكلمات افتتحت مجلة (الشبيجل) الألمانية الغربية في عددها الصادر يوم ١٩٧٤/١٢/٠٩م مقالاً تحليلياً مطولاً تناولت فيه مشكلة انتشار المشروبات الكحولية بين الشباب والأطفال في ألمانيا الاتحادية بالبحث والدراسة .

وأوردت المجلة بعض القصص التي تبين هذه الظاهرة مثل قصة (توماس) من مدينة (فورتمبرج) الذي سقط في حفل جمع عدداً من الشباب والفتيات صريع ما تناوله من مشروبات كحولية عجز قلبه عن تحملها ، وكان في السادسة عشرة من عمره . ومثل قصة صبيين في الثانية عشرة من العمر بقيا في مستشفى (شارلوتن بورج) ببرلين الغربية طريحي الفراش فاقدي الوعي أياماً عديدة نتيجة ما تناولاه من مشروبات كحولية .

من خلال الأرقام

ولا تزال هذه الظاهرة في طور البداية كما يقول علماء الاجتماع ، ويفسرها بعضهم كرد فعل على العراقيل التي وضعت في وجه انتشار تعاطي المخدرات بين الشبيبة باللجوء إلى زجاجة الخمر تعويضاً عن (حقنة المخدرات) .

ورغم أن هذه الظاهرة لا تزال في طور البداية فقد ذكرت الإحصاءات التي أوردتها المجلة أنّ :

٢٤% من الفتيان والفتيات في الثالثة عشرة ..

و ٤٢% من الفتيان والفتيات في الرابعة عشرة ..

و ٥٣% من الفتيان والفتيات في السادسة عشرة يتعاطون البيرة والخمور بأنواعها المختلفة بشكل يومي منتظم .. وأنّ :

٨% من أبناء وبنات ١٢-١٤ سنة ..

و ٢٠% من أبناء وبنات ١٥-١٧ سنة ..

و ٣١% من أبناء وبنات ١٨-٢٠ سنة ..

و ٤١% من أبناء وبنات ٢١-٢٤ سنة .. يتعاطون المشروبات الكحولية الثقيلة مثل (الويسكي) و(الكونيـــاك) بشكل يومي منتظم .

وأسفر استفتاء أجري في مدينة هامبورج عن أنّ ثلاثة آلاف من أصل مائة ألف تلميذ وتلميذة كانوا ســكارى كلية خمس مرات خلال فترة شهرين فقط ..

وليست هذه الصورة المظلمة على صعيد تناول الأطفال والشباب للمشروبات الكحولية بكثرة إلاّ جــزءاً مــن مجموع صورة الأوضاع الحالية ، إذ تذكر إحصاءات أخرى أن نسبة استهلاك (الكحول) في المشروبات الكحوليــة كانت عام ١٩٥٠م لا تزيد على (4,5) ليتراً في العام للشخص الواحد ، فبلغت الآن أكثر من (١٢) ليتراً ، أي ما يعادل (٥٨٠) كأس بيرة و(٣٤) زجاجة خمر و(١١) زجاجة خمر مكثف معا .

من النتائج

ويقدر خبراء معهد (ماكس بلانك) لعلم النفس أن عدد مرضى الإدمان على الكحول في ألمانيا الغربيــة بــات يتراوح بين (1,2) و(1,8) مليون نسمة من أصل (٦٠) مليوناً يقطنون البلاد .

وتنعكس النتائج في أكثر من مجال غير المجال الصحي .. وتتجلى أكثر ما تتجلى على صعيد الأسرة والتــوترات الاجتماعية ، وعلى صعيد ارتكاب الجرائم وازدياد انتشارها ، وحوادث السيارات وتصاعد نسبة وقوعها و .. و ..

وتورد المجلة على سبيل المثال ، أنّ عدد من تمّ اكتشافهم يقودون سياراتهم بعد تعاطيهم الكحول فسحبت رخصة القيادة منهم بلغ (132.841) شخصاً عام ثلاثة وسبعين فقط ، فضلاً عن الحوادث التي كان تعاطي الكحول سبباً فيها وأسفرت على مقتل (3.540) شخصاً وإصابة (٨٠) ألفاً آخرين بجراح .

ويعود جزء كبير من الحوادث في المصانع -التي أسفرت عام ٧٣ عن مقتل (4.011) شخــصاً- إلى تعــاطي المشروبات الكحولية أيضا .

ويؤكد بحث تحليلي أمريكي على أن نصف من يقدمون على الانتحار يفعلون ذلك لأســباب تتعلّــق بتعــاطي الكحول أو نتيجة لذلك ، وكان عدد من انتحر في ألمانيا الغربية عام ١٩٧٣م قد وصل إلى (12.870) شخصا .

كما يعيد الأطباء أسباب الوفاة لدى نصف وفيات المصابين بأمراض الكبد إلى تعاطي الكحول ، وكان قد بلــغ عدد حالات الوفاة هذه (15.931) حالة عام ٧٣م .

وبغض النظر عن الأمراض الأخرى ذات العلاقة بتعاطي الكحول ، تكفي الإشارة أيضاً إلى أن تكاليف معالجــة الشخص الواحد من المدنيين تتراوح بين (٤٠٠) ألف مارك لرجل في الخامسة والأربعين من عمره و(٥٠٠) ألــف مارك لشخص في سن الشباب .

ويتساءل المرء : ما هي أسباب هذا الوضع ؟

وما هي أسباب انتشار ظاهرة الإدمان بين صغار الشباب والفتيات خاصة .

وليس هذا مقام تناول الأسباب البعيدة الكامنة في تكوين المجتمع عامة ، فنكتفي بإيراد بعض الأسباب القريبة التي أشارت إليها المجلة بالاستناد إلى أقوال العلماء والخبراء الاجتماعيين في ألمانيا الاتحادية . ويمكن إعادتهــا بمجملــها إلى الأسرة التي ينشأ الطفل فيها وإلى البيئة الاجتماعية حوله .

ويقول الخبير النفساني (يانس) : (إنّما ينشأ الطفل ويربّى على تعاطي الكحول ، ويجد القدوة لــذلك في أســرته خلال فترة طفولته المبكرة) .

وتقول نتيجة استفتاء أجري في ولاية بافاريا : (رغم ارتفاع نسبة تعاطي الكحول بين الرجال عمّا هي عليه بين النساء ، فإن أثر الأم المدمنة على أطفالها أكبر بكثير من تأثير الأب عليهم) .

ويقول البروفيسور (جيرشوف) من الطب الجنائي في (فرانكفورت) : (ليس الإدمان على الكحول سوى ظاهرة من ظواهر تفكك الأوضاع الاجتماعية ، مثله في ذلك مثل انتشار الجريمة بين الشباب أيضا) .

وتأتي إلى جانب ذلك التوترات الاجتماعية عامة ، والفراغ الفكري والروحي ، والأزمة النفسانية لدى الشباب ، وانتشار زجاجة الخمر وسهولة الحصول عليها .

وليست ألمانيا الغربية في ذلك إلى جزءاً من المجتمع المتمدن الحديث ، تستشهد المجلة على ذلك بإحصائية سويدية تقول : إنّ ٧٥% من التلاميذ بين ١٢ و١٦ سنة أقرّوا في عملية استفتاء أنهم يتعاطون المشروبات الكحولية بانتظام.

ويقول عالم أبحاث اجتماعية أمريكي يدعى (تشافيتز) : (إنّ عزوف الشباب الأمريكي عن المخدرات جزئياً كان نتيجة تحوله إلى أخطر نوع من (المخدرات) وهو الكحول) .

وإذا استمر الحال على هذه الصورة ، فكما يقول العالم الألماني الغربي (هون) في ختام مقال مجلة (الــشبيجل) : (ستشهد البلاد كارثة يزداد فيها عدد ضحايا الإدمان باستمرار ، وتزداد معه حوادث السير وعدد العــاجزين عــن العمل بسن مبكرة ، حتى يغدو هؤلاء جيشاً جراراً ، إلى جانب الأضرار الكــبيرة علــى الــصعيدين الاجتمــاعي والاقتصادي) .